المبحث الرَّابع

التَّعليـــــم

بناء شخصيَّة الفرد في مجتمعٍ أو أمَّة بالعلم النافع في إقامة الحياة بما يُحقِّق السَّعادة الفرديَّةَ والاجتماعيَّةَ، سواء سُمِّيَ هذا البناء تربيةً أو تعليماً -وهما لدينا متداخلان، ذكرُ أحدهما يعني الآخر- من أهمِّ إن لم يكن أهمَّ عناصر وجود الأمم الذي من خلاله تعلو أو تهبط حضارياً.

« لذا نجد أنَّ الأمم تفزع إلى التربيَّة والتعليم كلما شعرتْ بالتَّفسُّخ أو فقدان المناعة أمام غيرها، أو التراجع الحضاري أو غير ذلك من الأعراض التي تَدلُّ على تناقص الحيويَّة الثقافيَّة عندها »[1].

بل إنك لو نظرت -كما يقول الدكتور فاخر عقل- في الحياة الإنسانية على ظهر هذه البسيطة لوجدتَ أنَّ العمليَّة التَّربويَّة هي أهم ما في هذه الحياة، فيها يُهيِّئ المجتمع أجياله الصَّاعدة لحياتهم المقبلة، وبها أيضاً ينقل إليهم تراثه ومعارفه، وبها كذلك يضمن استمرار قِيَمه ومُثُله من جهة، كما يضمن تَقدُّمه من جهة أخرى، والحقُّ أنَّ التربية مسؤَولَةٌ عن كَلِّ ما يصيب المجتمع من عِللٍ وأدْوَاءٍ، أو ما يتحقَّق له من نهضةٍ ورِفعةٍ[2]، هذا بشكلٍ عامٍ.

أمَّا في الإسلام فإنَّ العلم النافع وتطبيقه هو السَّبيل لتحقيق الحياة الإنسانية والظهور الحضاري، فالتعليم في المنظور الإسلامي من أهمِّ وأوَّلِ الضَّروريات التي بها تحفظ الكليات الخمس، التي جاء الإسلام بحفظها، وهي :

---

(١) بحوث الملتقى الإسلامي الأول لدول آسيا، بحث الأساس الثقافي للتربية الإسلامية، للمؤلف، ص ٢٩، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٦هـ.

(٢) الموجز في تاريخ التربية، لجورج شهلا، من مقدمة فاخر عقل، ص ٩، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

والرَّسول ﷺ إنما بُعث مُعلِّماً[1] ، وقد أخبر ربُّنا - سبحانه - أنه أرسل رسوله للتعليم والتربية على المنهج السَّوي فقال سبحانه : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [2] .

- فتلاوة الآيات على الصحابة .
- وتزكيتهم نفسيّاً وعقليّاً وجسميّاً .
- وتعليمهم الكتاب .
- وتعليمهم الحكمة .

كلها عناصر تعليمٍ تربويٍّ استطاع به النبي ﷺ تكوين جيلٍ نموذجيٍّ في كلّ جوانب إنسانيَّته لم يصل إلى مستواه أيُّ جيل تالٍ على الرّغم من توسع الثقافة، وتهيُّؤ الإمكانات، لقد قال عنه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وقد شهده وعاين الجيل التالي له « . . . . أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبرَّ الأمَّة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً »[3] .

وهنا نتساءل ما كُنْهُ التعليم أو التربية في الإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ والذي سيرتبط به قدر الأمَّة المنتسبة إلى الإسلام عبر التاريخ تحقيقاً لإسلاميَّتها، ومن ثم عُلوُّها بالأخذ به، وخللاً في تديُّنها، ومن ثم فَسادٌ لأحوالها بعُزوفها عنه ؟

---

(١) روى ابن ماجه بإسناد ضعيف عنه ﷺ « إنما بعثت معلماً » . سنن ابن ماجه، تحقيق الأعظمي، ١/ ٤٩ .

(٢) الآية رقم (٢) من سورة الجمعة .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق التركي والأرناؤوط، ٢/ ٤٦، الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ.

إن أهم الأهداف التي ينبغي أن يقوم بها التعليم الإسلامي كما توجه إليه نصوص القرآن والسنة هي :

١- رعاية الفطرة الإنسانيَّة السَّامية لتبقى مُشعَّةً بما فيها من حقٍّ وتوحيد، وذلك بتعريف الإنسان بخالقه ، وخاصية العلاقة بين الخالِق والمخلوق على أساس ربانيَّة الخالق وإلهيته تعالى ، وعبوديَّة الإنسان له عبوديَّةً شاملةً لسلوك الإنسان واتجاهه - نيَّته- .

٢- تقويم سُلوك الإنسان في علاقاته بمن حولَه مَن النَّاس على اختلاف نوعيَّة صلتهم به، حتى تنسجم مع المنهج الإسلامي في صورتها الظاهرة ووجهتها الباطنة .

٣- توجيه الإنسان إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض، ومواجهة متطلبات حياته المادية، سيراً في الأرض ، وتعلُّماً لصنائعها، واستثماراً لخيراتها فيما يرضي الله سبحانه .

٤- تحقيق الولاء للأمة المسلمة وتوجيه الفرد ليكون لَبِنَةً في بنيانها الشَّامخ القائم على روابط العلاقات الاجتماعيَّة التي شرعها الإسلام، يقول سبحانه : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾(١) .

---

(١) الآيات (٧٢-٧٤) سورة الأنفال .

فهي إيمانٌ بالله وهجرةٌ في سبيل هذا الإيمان لتحقيق الاجتماع الإيماني، وجهادٌ في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة منار العدل، وتكافلٌ اجتماعي يتمثَّل في الرّفد المادّي والنصرة الحربيَّة.

٥- تكوين الروح الدَّعويَّة لحمل رسالة الإسلام وإقامة الشهادة على النّاس كلّهم أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وكشفاً لمكايد الشَّيطان المضلَّة لبني آدم[١].

باتجاه هذه الأهداف كان تعليم الرسول ﷺ لأصحابه، وكان تعليم صحابته - رضوان الله عليهم - للأمَّة، حيث بعث الخلفاء الراشدون الفقهاء من الصحابة لتعليم الناس في البلاد المفتوحة، وحينما نسخ عثمان المصاحف أرسل إلى كلِّ مصرٍ نسخةً منه.

وإذا كان التعليم العام مرتكزاً على تعليم القرآن والسنة وبناء العقيدة والشريعة في حياة الناس، فإنَّ الخلفاء ومن جاء بعدهم اهتمُّوا بتعليم ما يحتاجه الناشئة في حياتهم من علوم اللغة والمهارات، كما في الأثر المشتهر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي كتب به إلى ساكني الأمصار: «أمَّا بعد: فعلِّموا أولادكم السِّباحة والفروسيَّة، ورَووهم ما سار من المثل وحسُنَ من الشعر»[٢]. وكما بدأ اللحن يشيع بسبب كثرة العجم في الإسلام صاروا يُعلِّمون العربيَّة لأولادهم.

وهكذا صارتْ تتوسَّع العلوم وتتنوَّع التخصُّصات في العصر الأموي فالعبَّاسي، لكنَّها ترتكز جميعها على قاعدةٍ من العلم الشرعي الذي يحقِّق

---

(١) انظر: تطوّر مفهوم النظريَّة التربويَّة الإسلاميَّة، لماجد الكيلاني، ص ٣٤، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٦٨، وقد أرجعها لكتاب "البيان والتبيين".

لصاحبه أساساً عقديّاً متيناً ، وقاعدةً شرعيَّةً توجِّه سلوكه في حياته العلميَّة توجيهاً سليماً .

ولكنَّ ذلك المنهج التربوي الذي كان روح الفتوحات الإسلاميَّة وأساس الحضارة الإسلاميَّة الجامعة بين العلميَّة والخلقيَّة، لم يلبثْ أن ضعف واختلَّ بفعل عوامل كثيرة ، وآل أمره إلى حالة لا تنفع طالب العلم ذاته ، ولا مجتمعه بتحويله إلى عنصرٍ إيجابيٍّ يرتقي بمجتمعه في تحقيق إسلاميَّته وإنسانيّته ومدنيَّته .

يقول محمد المبارك واصفاً : « لقد آل الأمر بالنظام التعليمي الموروث إلى الجمود والتقليد ، وضعف ملكة النقد والمناقشة والتفكير الجزئي ، والبعد عن قضايا الحياة العمليَّة ومشكلاتها ، وعن آفاق الثقافة الواسعة ، وعن تطوُّر الثقافة ، بل حتى عن التفكير في قضايا العالم الإسلامي »[1] .

وعلى الرغم من ظهور حركات تجديديَّة لهذا النظام في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي، إلا أنَّ هذا النظام ظلَّ سائداً في عامَّة مجتمعات المسلمين، حتى دخلت **نظم التعليم الحديثة** المجلوبة من أوربا إلى هذه المجتمعات ، والمشتملة على :

- العلوم الرّياضيَّة والطبيعيَّة ، وما بني عليها من تطبيقات وصناعات .

- والعلوم الإنسانيَّة المشتملة على الأدب والتاريخ والفلسفة والحقوق والاقتصاد ، وتتضمَّن هذه العلوم إلى جانب بعض الحقائق العلميَّة والآداب الإنسانيَّة الصحيحة مفاهيم وفلسفات منحرفةً، وتقديماً للمصالح الشخصيَّة والعاطفيَّة على المبادئ والقيم الخُلقيَّة، مما كان نتيجةً

(١) بين الثقافتين الغربيَّة والإسلاميَّة ، لمحمد المبارك ، ص ٣٦-٤٧ ، ١٤٠٠هـ.

لصراع هذا التعليم مع الديانة النصرانيَّة الكنسيَّة في أوائل عصور النهضة الأوربيَّة .

ولكنه -لا شكَّ - نظامٌ تعليميٌّ يغري المتعلِّم بما يفتحه له من آفاق الحريَّة الفكريَّة والإبداع ، وما يحيطه به من أجواء تتسم بالفاعليَّة الفكريَّة التي تشحذ همَّته بالمنافسة والمناقشة ، وتقدير النتائج العمليَّة لجهده .

لقد التقى هذان النظامان التعليميَّان في عامة مجتمعات المسلمين :

- النظام التعليمي الموروث .
- ونظام التعليم الغربي المنقول .

فأحدث ذلك مشكلةً كبرى في حياة المسلمين .

- ففي بعض البلاد قام النظامان متجاورين لكلٍّ منهما سماته الخاصة :

انكماشاً وتشبُّثاً بما كان للأوّل .

وحيويَّةً وضلالاً للثاني .

وغالباً ما تتولَّى الدولة الثاني وتدعمه ، ويبقى الأوّل أهليّاً متناقصاً .

- وفي بعض الدول حاول المسؤولون دمج التعليمين ببعضهما ، ولكن هذا الدَّمج يكون في الغالب « تغليباً للنظام الحديث على ما فيه من صبغة غير إسلاميَّة »(١) .

ولهذا تقوم الآن دعواتٌ كثيرةٌ جادَّةٌ تستهدف تجاوز الوضع الخطير لمشكلة التعليم في البلاد الإسلاميَّة ، بعد أن تبيَّنتْ ثمار هذا التعليم الخطيرة في حياة الأمة بين :

- تعليمٍ تقليديٍّ يخرج أناساً بعيدين عن واقع أمتهم وهمومها ، وهو على

(١) بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، ص ٥٠ .

كلِّ حال في طريقه إلى الانحسار النهائي .

- وتعليمٍ حديثٍ أخرج أناساً أصبحوا عوامل إفساد وتدمير في حياة أمتهم .

« إنّ واقع الأمة الإسلاميَّة المرير ثمرةٌ لخللٍ تنطوي عليه ثقافةٌ منهزمةٌ أمام الغرب من متناقضات أثمرتْ أناساً يحاربون دينهم ولغتهم ، وينسلخون من أمَّتهم ، وأثمرتْ تحطيماً للمقوِّمات في المجتمع الإسلامي ، دون أن تقيم بديلاً عنها مقوِّمات تنهض بالأمة ، وتربيةً تائهةً تخرج منظرين في مجال الفكر لقيم نهضويَّة هم أوّل المخالفين لها والمتاجرين بها ، وتبني فكر الإنسان على ما يصادم فطرته وهويَّة مجتمعه كرفض الغيبيَّات ، والأخذ بالنظريَّات المصادمة لحقائق الوحي ، ولهذا أثمرتْ مثقَّفين يمثِّلون تيهها ، يعيشون في أمتهم الإسلاميَّة ولكنهم لا ينتمون إليها ، ويحظون منها بمواقع القيادة ولكنهم لا يدينون بالولاء لها ولا لثقافتها ، فهم إمَّا غير منتمين أصلاً ، أو أنهم ينزعون إلى أيديولوجيات خارج إطار أمَّتهم قد تكون حيَّةً أو ميِّتةً »[1] .

ولم يحل المشكلة لجوء القادرين من الناس إلى مدارس خاصَّة أو جماعات دينيَّة ، مما جعل الدعوات المذكورة تسعى للإصلاح الجذري لهذه المشكلة بالمطالبة بإعادة تأسيس الحركة العلميَّة في كلِّ مجالاتها ، على الأصول الإسلاميَّة -العقديَّة والشرعيَّة- هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تحويل النظام الحديث إلى نظامٍ إسلاميٍّ في فلسفته التربويَّة وأهدافه ومناهجه ، ومحتويات موادِّه ، وهو ما اشتهر باسم « أسلمة العلوم » أو « تأصيل العلوم إسلاميّاً » .

---

(١) بحوث الملتقى الإسلامي الأول لدول آسيا ، بحث الأساس الثقافي للتربية الإسلاميَّة ، ص ٤٠ ، مصدر سابق .

المملكة العربيَّة السعوديَّة والتعليم:

كانت الدعوة الإسلامية في المجتمع السعودي انطلاقاً من سلفيَّتها التي نظَّرها في الجانب المنهجي « التعليمي » شيخ الإسلام ابن تيمية قد أحدثتْ تغيُّراً في المسلك التعليمي الموروث بردِّ العلوم وتأسيسها على تعاليم القرآن والسنة، وجعل هذه التعاليم هي الحاكمة على كلِّ التراث اللاحق عقديّاً أو فقهيّاً، وتكامل العلوم النقليَّة مع العلوم العقليَّة في كونهما معاً علوماً شرعيَّةً ما دامتْ ملتزمةً بالأسس والغايات الإسلاميَّة(١)، ورفض التنكُّر للعلوم الطبيعيَّة حتى ولو استُمِدَّتْ من الكفّار(٢).

وعلى الرغم من الأوضاع الاجتماعيَّة والسياسيَّة التي من شأنها أن تعوق الحركة العلميَّة في الدولة السعوديَّة الأولى، ثم تبعاً لها الثانية كتوحيد المناطق وإقامة الأمن، ثم مصارعة القوَّة التي استهدفتْ تلك الدولة وأسقطتها على الرغم من ذلك، فقد أثمرتْ هذه الدعوة حركةً علميَّةً متميِّزةً في المجال الشرعي واللغوي.

أمَّا المجال التَّقني فلم تكن الدولة السعوديَّة قد احتكَّتْ بالحضارة الغربيَّة بعدُ، ومع ذلك فإنَّا نستطيع أن نقول: إنّ العقل الذي بعثته هذه الحركة كان قابلاً للإثمار في هذا المجال لو تواصلتْ الدولة السعوديَّة(٣).

---

(١) يقول ابن تيمية: « . . وعلى هذا فتكون العلوم الشرعيَّة قسمين: عقليَّةً وسمعيَّةً . . وقد تبيَّن بهذا أنّ كلَّ علمٍ عقليٍّ أمر به الشرع أو دلَّ الشرع عليه فهو شرعيٌّ أيضاً » . مجموع الفتاوى، ١٩/ ٢٣٣.

(٢) قال ابن تيمية: « ومن بدع المتكلِّمين ردّهم ما صحَّ من الفلسفة في علم الفلك والحساب . . . » وقد سبق ذكره.

(٣) ينقل كشك عن مؤلف " لمع الشهاب " : « أن صناعة السلاح والبارود ظهرتْ مع الحركة في نجد، وازدهرتْ . . ووصف سلاحهم بأنه لطيف الصنعة، سريع الرَّمي، قليل الخطأ، بعيد الرّمية، خفيف المحمل . . . وبارودهم أطيب بارود، فلا يحتاج أهل نجد إلى جلب البارود لهم من ملكٍ آخر » . السعوديون والحل الإسلامي، ص ١٤٥، مصدر سابق.

ولأنّ دعوة الشيخ إصلاحيَّةٌ شاملةٌ لا تستهدف فئةً فكريَّةً محدودةً ، فقد بعثتْ حركةً ثقافيَّةً عاليةً في المجال الديني ، وقضتْ على نسبة كبيرة من الأميَّة الفكريـَّة في المُدن والقرى ، بل وفي البوادي التي كانت الحركة تبعث إليها معلِّمين يتتبَّعون تجمُّعات أهل البادية لتعليمهم العقيدة والعبادات والسلوك الإسلامي الصحيح .

وحينما فتح الملك عبد العزيز « الرياض » عام ١٣١٩هـ كان بحكم ثقافته الإسلاميَّة ، ومنهجه السَّلفي ، ووعيه بالواقع المحلِّي والعالمي الذي عايش تأثيراته في الخليج ، مقتنعاً بأنّ العلم هو المرتكز الذي يقوم عليه بنيان الدولة شامخاً راسخاً؛ لأنّ صلاح الدين والدنيا معاً لا يتحقَّقان إلا بالعلم .

لهذا جعل التعليم موازياً لحركته الجهاديَّة في توحيد الجزيرة العربيَّة ، وعلى الرغم من الجهد الذي يحتاجه هذا التعليم ، إذْ إنَّ " نجداً " التي تسلَّمها عبد العزيز : «قد اندثرتْ مدارسها ومجامعها ، وسادها التفرُّق والتفتُّتُ ، وتبدَّدتْ مع الخلافات الداخليَّة نشوة الحركة العلميَّة القديمة التي ارتبطتْ ببناء الدولة السعوديَّة .

ولم يكن التعليم في هذه المرحلة إلا امتداداً ضعيفاً للحركة القديمة بفضل ما بقي من علماء المُدُن الهامَّة »[١] .

كانت هناك كتاتيب لتعليم القرآن الكريم في " نجد " في المدن وبعض القرى ، أمَّا البادية فلا أثر للتعليم عندهم .

أمَّا " الحجاز " فقد كان فيه إضافةً إلى الكتاتيب ، تدريسٌ في الحرمين الشريفين ، وإن كانت قد ساءتْ حال هذا التدريس في أواخر العهد الهاشمي[٢] .

---

(١) الملك عبد العزيز والتعليم ، لبدر الدين أبو راس ، ص ٦٦ ، مصدر سابق .

(٢) انظر : التعليم في مكة والمدينة ، لمحمد الشامخ ص ١٠٣ ، ١٩٧٣م ، والمصدر السابق ، ص ٩٠ .

أيضاً كان فيه بعض المدارس الأهليَّة الخاصَّة ببعض الجاليات ، ومدارس حكوميَّةٌ محدودةٌ .

أمَّا في " عسير " فقد أنشئتْ مدرسةٌ تركيَّةٌ لتتريك الناشئة .

وفي " الأحساء " فتح العثمانيُّون ثلاث مدارس حكوميَّةً في « الهفوف »[1] .

لقد اتجه الملك عبد العزيز في التعليم اتِّجاهين :

الأوّل : تمثَّل في التعليم العام بدعم الكتاتيب القائمة وتوسيعها ، وتكثير حلقات العلم في المساجد ، وبالذات في المُدُن ، وبإرسال طلاب العلم في جولات تثقيفيَّة للباديَّة لتعليمهم أمور دينهم ، كما أنشأ الملك عبد العزيز « نظام الهجر » وهو نظامٌ تعليميٌّ تربويٌّ يتمثَّل في توطين البادية في مواقع فيها مياه يُبنى بها مسجدٌ ومحلات استقرار ، ويكون المسجد مركزاً لإقامة صلواتهم ، وتعليمهم أمور دينهم ، ونفي الجهل عنهم ، والقضاء في مشكلاتهم .

ومن ذلك أيضاً إرسال العلماء لا في جولات قصيرة محدودة ، وإنما في مهمَّات مستمرَّة تمتدُّ سنوات ، حيث يقوم العالم بحركة علميَّة قضائيَّة دعويَّة تغطِّي المساحة التي تستطيعها قدراته ، ومن أشهر العلماء الذين قاموا بهذه المهمَّات :

- الشيخ/ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، بعثه إلى هجرة الأرطاوية .
- فيصل بن عبد العزيز المبارك ، تنقَّل بين عدَّة أماكن كان آخرها " الجوف " حيث ظلَّ فيه بقيَّة حياته قاضياً ومدرِّساً .
- عبد العزيز بن محمد الشثري ، الذي عيَّنه الملك عبد العزيز عند

(١) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، ١/ ٢٢٧ ، وما بعدها ، مصدر سابق .

قبائل قحطان المهاجرة في وادي " الرّين " قاضياً ومفتياً ، ومعلِّماً وواعظاً سنين طويلةً .

- عبد الله بن محمد القرعاوي ، الذي توجَّه إلى جنوب المملكة منذ عام ١٣٥٧هـ، وظلّ متنقِّلاً فاتحاً للمدارس ، مربِّياً للمعلِّمين حتى بلغتْ المدارس التي فتحها عام ١٣٧٦هـ (٢٨٠٠) مدرسةً ، وتجاوز الطلاب خمسةً وسبعين ألفاً ، منهم خمسة عشر ألف تلميذة . وقد ضمَّتْ هذه المدارس لوزارة المعارف عام ١٣٧٩هـ[١] .

الثاني : إنشاء التعليم النظامي القائم على المنهج السَّلفي والمرتبط بالمصالح الشَّرعيَّة للفرد والوطن والأمة .

وفي هذا السَّبيل أنشئتْ « مديريَّة المعارف » في عام ١٣٤٤هـ التي تحوَّلتْ في عام ١٣٧٣هـ إلى وزارة المعارف التي رأسها الأمير فهد ابن عبد العزيز (خادم الحرمين الشريفين الآن) كما رأس المجلس الأعلى السعودي للتعليم وهو أعلى سلطة تعليميَّة في المملكة[٢] .

وفي ظلِّ هذا المسلك (التعليم النظامي) برزتْ مؤسساتٌ علميَّةٌ منوَّعةٌ لتلبية الحاجة الحضاريَّة للمجتمع السعودي ، من أبرزها :

- المعهد العلمي السعودي في مكّة المكرّمة عام ١٣٤٤هـ .
- مدرسة الأمراء عام ١٣٥٤هـ .
- مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٥هـ .
- دار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٤هـ .
- ثم كليّة الشريعة بمكة ، فمعهد الرياض العلمي ، فكليَّة الشريعة بالرياض .

---

(١) انظر : الباب الثالث : رجال العلم والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، ص٥٩١ من كتاب " الدعوة في عهد الملك عبد العزيز " .

(٢) الأصالة والمعاصرة ، للفارسي ، ص ٣٦١، مصدر سابق .

ولما كان التعليم مدعوماً من الدولة مادياً بمجانيّته وصرف مكافآت لبعض مراحله، ومعنوياً بتشجيعه ، وتقدير صاحبه وظيفياً وجاهياً فضلاً عما في شعور المسلم من قيمة شرعيَّة للعلم وطلبه -لهذا- انطلقتْ نهضةٌ تعليميَّةٌ ممتدَّةٌ أفقياً لكلّ فئات الشعب ، ورأسياً في مراحل التعليم المختلفة ، حتى قفزتْ الأرقام بصور كبيرة .

وتراجعت الأمية التي كانت هي السائدة بنسبة كبيرة قياساً بزمنها وصارت المملكة من أعلى المجتمعات الإسلاميَّة في مستوى الثقافة الدينيَّة المؤسسة على تعاليم القرآن والسنة .

ولما كان هدفنا الحديث -فقط- عن إسلاميَّة التعليم في المملكة ، فإنَّا نعود لنقرِّر أنَّ اعتماد الدولة ممثَّلةً في مجلس التعليم الأعلى ووزارة المعارف على قاعدتها الرِّساليَّة المتمثِّلة بالمنهج السَّلفي في نظرته المتميِّزة للعلم والتعليم الذي أشرنا إلى بعض عناصره، جعلها تجمع بين الأصالة الحقيقيَّة مع المعاصرة الواعية، وبالتالي تنتج تلك المأثرة الفريدة التي ستظلّ مناط فخر المملكة العربية السعوديَّة، ودليلاً على صفاء إسلاميَّة المنهج الذي تعلنه ، وبرهاناً على أنّ وراء هذه المأثرة رجالاً يجمعون بين الرُّسوخ في العلم الشرعي والفقه بالواقع الفكري والحضاري المعاصر .

ستظلّ بها المملكة قدوةً في نظام التعليم لأيِّ دولة أو مؤسّسة إسلاميَّة تريد تحقيق إسلاميَّة وصلاح منهجها التعليمي، وتجاوز الثغرات التي تطبع عامة النظم التعليميَّة الموروثة أو الحديثة الوافدة .

هذه المأثرة الجليلة تتمثَّل في « سياسة التعليم في المملكة العربيَّة السعوديَّة » التي تمَّ اعتمادها بقرار مجلس الوزراء رقم [٧٧٩] في ١٦-١٧/ ٩/ ١٣٨٩هـ .

هذه السياسة التي استطاعتْ بصياغتها المحكمة ، وأسلوبها المركَّز الواضح ، أن تجتاز بالتعليم السعودي جوانب الضعف ، وأحاديَّة النظرة والانكماش، ورتابة الفكر ، وغيرها من سمات التعليم التقليدي في مجتمعات المسلمين إلى عهد قريب، وأن تؤسّسه على الحقائق التي ازدراها آخرون فتاهوا وعادوا يهتمُّون بها لإدراكهم خطورة التخلِّي عنها .

فمثلاً : اليابان الحديثة ، اعتمدتْ -كما يقول " برتراند رسل " - النزعة التي تغلب على جميع الدول العظمى : « نزعة جعل العظمة الوطنيَّة الهدف الأسمى للتربية»[1] . هذه النزعة أذكتها الدولة من خلال جعل الديانة (الشنتو) أساساً يعتمده رجل الفكر كما يعتمده رجل السياسة فضلاً عن رجل الدين، ورغم أنها ديانةٌ وثنيَّةٌ إلا أنه : « لا يصح أن يتشكَّك فيها حتى الأساتذة الجامعيُّون . . »[2].

لكنَّ مُفكِّري التغريب في العالم الإسلامي عكسوا القضيَّة، فجعلوا استبعاد الدين والتشكيك في عقائده من مطلوبات المنهج التعليمي .

أمَّا السياسة التعليميَّة فقد بنتْ التعليم في المملكة على الإسلام عقيدةً وشريعةً علماً به وتطبيقاً له وولاءً لمنهجه .

ومثل ذلك أيضاً الأخلاق حيث فُصلَتْ في المناهج المستغربة عن التعليم، وعُدَّتْ من المؤثّرات السَّلبيَّة على حريَّة الفَكر وموضوعيَّة التعلُّم، ولكن الآثار السيِّئة لهذا الفصل جعلتْ العقلاء يتراجعون موقنين « أنّ العلم هو أحد مظاهر العبقريَّة الإنسانيَّة، إلا أنَّ المشكلة هي في انفصاله عن الاتجاه الإنساني والقيم

---

(١) في التربية ، برتراند رسل ، ترجمة سمير عبده ، ص ٤٠ ، ١٩٦٤م.

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١ .

الأساسيَّة لحياة البشر ، وهذا أمرٌ يتطلَّب تحديد مفهومٍ جديد للعلم، مفهومٍ يُنَسِّق بين التقدُّم في مجالات العلوم والعلوم الاجتماعيَّة سواء »[1].

أمَّا سياستنا التعليميَّة فإنّ القيم الخلقيَّة هي عمادها بعد الأساس العقدي، ولهذا فإنَّ من عجيب أمر بعض المفكِّرين العرب أن مواضع نقدهم في هذه السياسة هي عناصر أصالتها إسلاميّاً وحضاريّاً ، مثل :

- تأكيد الإيمان بالغيبيَّات .
- جعل العقيدة الدينيَّة محور الحركة الفكريَّة والعلميَّة .
- جعل القيم الخلقيَّة ضوابط تعليميَّةً . . . إلخ .

ولأنّ هذه السياسة معبِّرةٌ عن نفسها من حيث تحقيق الإسلاميَّة في ركائزها وغايتها وأهدافها فإنّي أثبتها هنا دون حاجة لتعليق في ثناياها :

«١- السياسة التعليميَّة في المملكة العربيَّة السعوديَّة تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمَّة عقيدةً وعبادةً وخلقاً وشريعةً وحكماً ونظاماً متكاملاً للحياة، وهي جزءٌ أساسيٌّ من السياسة العامة للدولة .

الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة:

٢- الإيمان بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد ﷺ نبيّاً ورسولاً .

٣- التصوُّر الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وأنَّ الوجود كله خاضعٌ لما سنَّه الله تعالى ؛ ليقوم كل مخلوقٍ بوظيفته دون خللٍ أو اضطراب .

٤- الحياة الدنيا مرحلة إنتاجٍ وعملٍ ، يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمانٍ

(١) تقرير المستشارين بشأن المشكلات العالميَّة الكبرى في منظمة اليونسكو، عن تطوُّر مفهوم التربية الإسلاميَّة ، للكيلاني ، ص ٢٢٥ .

وهدي للحياة الأبديَّة الخالدة في الدار الآخرة، فاليوم عملٌ ولا حسابٌ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ.

٥- الرّسالة المحمَّديَّة هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان ، وتنقذ البشريَّة ممَّا تردَّتْ فيه من فساد وشقاء .

٦- المثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانيَّة رشيدة بنَّاءة تهتدي برسالة محمَّد ﷺ لتحقيق العزَّة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة.

٧- الإيمان بالكرامة الإنسانيَّة التي قرَّرها القرآن الكريم ، وأناط بها القيام بأمانة الله في الأرض : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾[1] .

٨- فرص النُّموِّ مهيَّأةٌ أمام الطالب للمساهمة في تنمية المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ثمَّ الإفادة من هذه التنمية التي شارك فيها .

٩- تقرير حقّ الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها، ويعدها لمهمَّتها في الحياة، على أن يتمَّ هذا بحشمة ووقار ، وفي ضوء شريعة الإسلام ، فإن النساء شقائق الرجال .

١٠- طلب العلم فرضٌ على كلّ فرد بحكم الإسلام ، ونشره وتيسيره في المراحل المختلفة واجبٌ على الدولة بقدر وسعها وإمكانيَّاتها .

١١- العلوم الدينيَّة أساسيَّةٌ في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه ، والثقافة الإسلاميَّة مادَّةٌ أساسيَّةٌ في جميع سنوات التعليم العالي .

١٢- توجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادِّها منهجاً وتأليفاً وتدريساً وجهةً إسلاميّةً في معالجة قضاياها والحكم على نظريَّاتها

---

(١) الآية رقم (٧٠) من سورة الإسراء .

وطرق استثمارها ، حتى تكون منبثقةً من الإسلام، متناسقةً مع التفكير الإسلامي السَّديد .

١٣- الاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانيَّة النافعة على ضوء الإسلام، للنهوض بالأمة ورفع مستوى حياتها، فالحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أولى الناس بها .

١٤- التناسق المنسجم مع العلم والمنهجيَّة التطبيقيَّة « التقنيَّة » باعتبارهما من أهمّ وسائل التنمية الثقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والصحيَّة، لرفع مستوى أمتنا وبلادنا، والقيام بدورنا في التقدُّم الثقافي العالمي .

١٥- ربط التربية والتعليم في جميع المراحل بخطَّة التنمية العامة للدولة .

١٦- التفاعل الواعي مع التطوُّرات الحضاريَّة العالميَّة في ميادين العلوم والثقافة والآداب، بتتَبُّعها والمشاركة فيها، وتوجيهها بما يعود على المجتمع والإنسانيَّة بالخير والتقدُّم .

١٧- الثقة الكاملة بمقوِّمات الأمة الإسلاميَّة، وأنها خير أمّة أُخرجتْ للناس، والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[1] .

١٨- الارتباط الوثيق بتاريخ أمتنا وحضارة ديننا الإسلامي ، والإفادة من سير أسلافنا، ليكون ذلك نبراساً لنا في حاضرنا ومستقبلنا .

١٩- التضامن الإسلامي في سبيل جمع كلمة المسلمين وتعاونهم ودرء الأخطار عنهم .

٢٠- احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشَرَعَ حمايتها حفاظاً على الأمن، وتحقيقاً لاستقرار المجتمع المسلم في : الدين، والنفس، والنسل، والعرض، والعقل، والمال .

---

(١) الآية رقم (٩٢) من سورة الأنبياء .

٢١- التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع : تعاوناً، ومحبَّةً ، وإخاءً ، وإيثاراً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

٢٢- النُّصْح المتبادل بين الرَّاعي والرَّعيَّة بما يكفل الحقوق والواجبات ، وينمِّي الولاء والإخلاص .

٢٣- شخصيَّة المملكة العربيَّة السعوديَّة متميِّزةٌ بما خصَّها الله من حراسة مقدَّسات الإسلام، وحفاظها على مهبط الوحي ، واتخاذها الإسلام عقيدةً وعبادةً وشريعةً ودستور حياة ، واستشعار مسؤوليَّتها العظيمة في قيادة البشريَّة بالإسلام وهدايتها إلى الخير .

٢٤- الأصل هو أنّ اللغة العربيَّة لغة التعليم في كافة موادِّه وجميع مراحله ، إلا ما اقتضت الضرورة تعليمه بلغة أخرى .

٢٥- الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد ، وذلك هدايةً للعالمين، وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور، وارتفاعاً بالبشر في مجال العقيدة إلى مستوى الفكر الإسلامي .

٢٧- القوَّة في أسمى صورها وأشمل معانيها : قوّة العقيدة، وقوَّة الخلق، وقوَّة الجسم : « فالمؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ » .

غاية التعليم في المملكة:

٢٨- غاية التعليم : فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً، وغرس العقيدة الإسلاميَّة ونشرها، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلاميَّة ، وبالمثل العليا، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة، وتنمية الاتجاهات السُّلوكيَّة البنَّاءة وتطوير المجتمع اقتصاديّاً واجتماعيّاً وثقافيّاً، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه .

الأهداف الإسلاميَّة العامة التي تحقق غاية التعليم:

٢٩- تنمية روح الولاء لشريعة الإسلام، وذلك بالبراءة من كلّ نظام أو مبدأ يخالف هذه الشريعة، واستقامة الأعمال والتصرُّفات وفق أحكامها العامة الشاملة .

٣٠- النصيحة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بصيانتهما ، ورعاية حفظهما ، وتعهُّد علومهما ، والعمل بما جاء فيهما .

٣١- تزويد الفرد بالأفكار والمشاعر والقدرات اللازمة لحمل رسالة الإسلام.

٣٢- تحقيق الخلق القرآني في المسلم ، والتأكيد على الضوابط الخلقيَّة لاستعمال المعرفة : « إنّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مكارم الأخلاق » .

٣٣- تربية المواطن المؤمن ليكون لَبنةً صالحةً في بناء أمته، ويشعر بمسؤوليّته لخدمة بلاده والدفاع عنها .

٣٤- تزويد الطالب بالقدر المناسب من المعلومات الثقافيَّة ، والخبرات المختلفة التي تجعل منه عضواً عاملاً في المجتمع .

٣٥- تنمية إحساس الطلاب بمشكلات المجتمع الثقافيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة ، وإعدادهم للإسهام في حلِّها .

٣٦- تأكيد كرامة الفرد وتوفير الفرص المناسبة لتنمية قدراته حتى يستطيع المساهمة في نهضة الأمة .

٣٧- دراسة ما في هذا الكون الفسيح من عظيم الخلق ، وعجيب الصنع، واستكشاف ما ينطوي عليه من أسرار قدرة الخالق للاستفادة منها وتسخيرها لرفع كيان الإسلام وإعزاز أمَّته .

٣٨- بيان الانسجام التام بين العلم والدين في شريعة الإسلام ، فإنَّ الإسلام دينٌ ودنيا، والفكر الإسلامي يفي بمطالب الحياة البشريَّة في أرقى صورها في كلِّ عصرٍ .

٣٩- تكوين الفكر الإسلامي المنهجي لدى الأفراد ؛ ليصدروا عن تصوُّرٍ إسلاميٍّ موحَّدٍ فيما يتعلَّق بالكون والإنسان والحياة، وما يتفرَّع عنها من تفصيلات .

٤٠- رفع مستوى الصحَّة النفسيَّة بإحلال السَّكينة في نفس الطالب، وتهيئة الجوِّ المدرسي المناسب .

٤١- تشجيع وتنمية روح البحث والتفكير العلميين، وتقوية القدرة على المشاهدة والتأمل، وتبصير الطُّلاب بآيات الله في الكون وما فيه، وإدراك حكمة الله في خلقه لتمكين الفرد من الاضطلاع بدوره الفعال في بناء الحياة الاجتماعيَّة وتوجيهها توجيهاً سليماً .

٤٢- الاهتمام بالإنجازات العالميَّة في ميادين العلوم والآداب والفنون المباحة، وإظهار أنّ تقدُّم العلوم ثمرةٌ لجهود الإنسانيَّة عامة، وإبراز ما أسهم به أعلام الإسلام في هذا المجال ، وتعريف الناشئة برجالات الفكر الإسلامي، وتبيان نواحي الابتكار في آرائهم وأعمالهم في مختلف الميادين العلميَّة والعمليَّة .

٤٣- تنمية الفكر الرِّياضي والمهارات الحسابيَّة، والتَّدرُّب على استعمال لغة الأرقام والإفادة منها في المجالين العلمي والعَمَلي .

٤٤- تنمية مهارات القراءة وعادة المطالعة سعياً وراء زيادة المعارف .

٤٥- اكتساب القدرة على التعبير الصحيح في التخاطب والتحدُّث والكتابة بلغة سليمة وتفكير منظَّم .

٤٦- تنمية القدرة اللُّغويَّة بشتى الوسائل التي تغذِّي اللُّغة العربيَّة، وتساعد على تذوُّقها وإدراك نواحي الجمال فيها أسلوباً وفكرةً .

٤٧- تدريس التاريخ دراسةً منهجيَّةً مع استخلاص العبرة منه، وبيان وجهة

نظر الإسلام فيما يتعارض معه، وإبراز المواقف الخالدة في تاريخ الإسلام وحضارة أمته ، حتى تكون قدوةً لأجيالنا المسلمة، وتولِّد لديها الثقة والإيجابيَّة .

٤٨- تبصير الطُّلاب بما لوطنهم من أمجاد إسلاميَّة تليدة، وحضارة عالميَّة إنسانيَّة عريقة، ومزايا جغرافيَّةٍ وطبيعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ ، وبما لمكانته من أهميَّةٍ بين أمم الدنيا .

٤٩- فهم البيئة بأنواعها المختلفة، وتوسيع آفاق الطُّلاب بالتعرف على مختلف أقطار العالم، وما يتميَّز به كلُّ قطرٍ من إنتاجٍ وثرواتٍ طبيعيَّة، مع التأكيد على ثروات بلادنا ومواردنا الخام، ومركزها الجغرافي، والاقتصادي، ودورها السياسي القيادي في الحفاظ على الإسلام، والقيام بواجب دعوته، وإظهار مكانة العالم الإسلامي، والعمل على ترابط أمته.

٥٠- تزويد الطلاب بلغة أخرى من اللغات الحيَّة على الأقلّ، بجانب لغتهم الأصليَّة، للتزوّد من العلوم والمعارف والفنون والابتكارات النافعة، والعمل على نقل علومنا ومعارفنا إلى المجتمعات الأخرى، وإسهاماً في نشر الإسلام وخدمة الإنسانيَّة .

٥١- تعويد الطُّلاب العادات الصحيَّة السَّليمة ، ونشر الوعي الصحي .

٥٢- إكساب الطُّلاب المهارات الحركيَّة التي تستند إلى القواعد الرياضيَّة والصحيَّة لبناء الجسم السَّليم، حتى يؤدّي الفرد واجباته في خدمة دينه ومجتمعه بقوَّة وثبات .

٥٣- مسايرة خصائص مراحل النمو النفسي للناشئين في كلّ مرحلة، ومساعدة الفرد على النموِّ السَّوي : روحياً وعقليّاً وعاطفيّاً، واجتماعيّاً، والتأكيد على الناحية الروحيَّة الإسلاميَّة ، بحيث تكون هي الموجّه الأول للسلوك الخاص والعام للفرد والمجتمع .

٥٤- التعرّف على الفروق الفرديَّة بين الطلاب توطئةً لحسن توجيههم، ومساعدتهم على النموّ وفق قدراتهم واستعداداتهم وميولهم .

٥٥- العناية بالمتخلِّفين دراسيّاً، والعمل على إزالة ما يمكن إزالته من أسباب هذا التخلُّف، ووضع برامج خاصَّة دائمة ومؤقَّتة وفق حاجاتهم.

٥٦- التربية الخاصة والعناية بالطُّلاب المعوَّقين جسميّاً أو عقليّاً، عملاً بهدي الإسلام الذي يجعل التعليم حقّاً مشاعاً بين جميع أبناء الأمة .

٥٧- الاهتمام باكتشاف الموهوبين ورعايتهم، وإتاحة الإمكانات والفرص المختلفة لنموّ مواهبهم في إطار البرامج العامة، وبوضع برامج خاصَّة .

٥٨- تدريب الطاقة البشريَّة اللازمة، وتنويع التعليم مع الاهتمام الخاص بالتعليم المهَني .

٥٩- غرس حبّ العمل في نفوس الطُّلاب ، والإشادة به في سائر صوره، والحض على إتقانه والإبداع فيه ، والتأكيد على مدى أثره في بناء كيان الأمة ، ويستعان على ذلك بما يلي :

أ - تكوين المهارات العلميَّة والعناية بالنواحي التطبيقيَّة في المدرسة، بحيث يتاح للطالب الفرصة للقيام بالأعمال الفنية اليدويَّة ، والإسهام في الإنتاج ، وإجراء التجارب في المخابر والورش والحقول .

ب- دراسة الأسس العلميَّة التي تقوم عليها الأعمال المختلفة، حتى يرتفع المستوى الآلي للإنتاج إلى مستوى النهوض والابتكار .

٦٠- إيقاظ روح الجهاد الإسلامي لمقاومة أعدائنا، واسترداد حقوقنا، واستعادة أمجادنا، والقيام بواجب رسالة الإسلام .

٦١- إقامة الصِّلات الوثيقة التي تربط بين أبناء الإسلام، وتبرز وحدة أمته »[1].

---

(١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ،١٤١٦هـ.

هذه هي أسس التعليم وأهدافه ، وتبقى بعدها في سياسة التعليم أهداف مراحل التعليم المختلفة ، والتخطيط لمراحل التعليم وأحكام خاصة تتعلَّق بأنواع معيَّنة من التعليم ووسائل التربية والتعليم ونشر العلم . . إلخ .

وكلّ هذه الجوانب وإن انطوتْ في ظلِّ تلك الأسس والأهداف إلا أنها مأطورةٌ بصور إفراديَّة بالإطار الإسلامي ، ثم بالأحكام العامة التي ختمتْ بها السياسة[1] .

والذي حفزني لإثبات هذه الأسس والأهداف ، بل وتقديمها بالصيغة الخطابيَّة السابقة ، هو الشعور بغفلة الناس عنها ، وعن قيمتها الإسلاميَّة والحضاريَّة ، فإذا تحدَّث الناس عن تطبيق الشريعة ، أو إسلاميَّة المجتمع السّعودي لم يقم في آذانهم سوى جانب محدود هو الحدود الشرعيَّة والقضاء ، مع أنّ التعليم أسبق من القضاء في إسلاميَّة حياة الناس ؛ لأنّ القضاة هم خرِّيجو هذا التعليم .

فضلاً عن هذا فإنَّ كثيراً من الكاتبين عن التعليم والمناهج من المعجَبين ببعض النماذج التعليميَّة الغربيَّة أو غيرها ، وقد يكون تفكيرهم الإسلامي محدوداً يغفلون عن هذه السياسة التي تُمثِّل تفصيلاً لرسالة الدولة السعوديَّة في كلِّ جوانب حركتها ، فيتعاملون مع التعليم باقتراحاتهم ونقدهم ، وكأنه تائهٌ لا هويَّة له ، أو عفويٌّ لا يرتكز على أساس مكين .

---

(١) في ص ٥٤ باب « أحكام عامة » ورد :

٢٣٢- التعليم بكافة أنواعه ومراحله وأجهزته ووسائله يعمل لتحقيق الأغراض الإسلاميَّة ، ويخضع لأحكام الإسلام ومقتضياته ، ويسعى إلى إصلاح الفرد ، والنهوض بالمجتمع خلقيّاً وفكريّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً .

وكما قلت فإنَّ إيراد هذه الأسس والأهداف كاف عن التحليل والتعليق، ومن أراد أن يدرك أكثر تميُّز هذه السياسة وسبقها إسلاميّاً وحضارياً فليقارنها بسياساتٍ تعليميَّة أخرى، أو بإستراتيجيّات ثقافيَّة لدول أو منظَّمات .

على ضوء هذه السّياسة قام التعليم في المملكة في مختلف المراحل :

* **في الابتدائيَّة والمتوسِّطة** حيث يدرس الطالب إضافةً إلى العلوم الرياضيَّة والاجتماعيَّة والتقنيَّة أصول العلم الشرعي :

- القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً، ومعرفةً بأحكام تجويده .
- والعقيدة في قضاياها الكبرى [1] .
- والفقه في مسائل العبادات والمعاملات التي تهمّ الطالب .
- والحديث قراءةً وشرحاً لجوامع الأحاديث في دعائم الإسلام وخصائصه، والقيم السلوكيَّة والآداب الاجتماعيَّة .
- وتفسير القرآن الكريم -في المتوسط- لبعض السور القرآنيَّة .

* **وفي الثانويَّة** تبدأ التخصصات في مجالات العلوم البحتة ، والآداب . . ، ولكن تبقى العلوم الشرعيَّة بشمولها لعقيدة الإنسان وعباداته وقيمه الخلقيَّة .

وإلى جانب المتوسّط والثانوي العام توجد « المعاهد العلميَّة » التي تشتمل على مرحلتي « المتوسط والثانوي » وتتركَّز الدراسة فيها في العلوم الشرعيَّة واللُّغويَّة .

---

(١) في الابتدائي تدرس مجموعةٌ من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب السهلة العبارة ، والمركّزة على معالم الإيمان والعبادة ، والتعريف بالمصطلحات الشرعيَّة « العقدية » .

وفي المتوسط يدرس كتاب « التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي يحمي العقيدة من كلّ لوثات الشرك والفساد .

* **في المرحلة الجامعيَّة** وتطبيقاً للسياسة التعليميَّة التي نصَّتْ -كما سبق في رقم (١١)- على أنّ « الثقافة الإسلاميَّة مادَّةٌ أساسيَّةٌ في جميع سنوات التعليم العالي » فقد عُمِّمَتْ مادة « الثقافة الإسلاميَّة » في الكليَّات الشرعيَّة واللّغويَّة والاجتماعيَّة والتطبيقيَّة والعسكريَّة وغيرها .

وتهدف مادة الثقافة الإسلاميَّة في المرحلة الجامعيَّة إلى :

- إبراز النظرة الشموليَّة للإسلام وتخليص العقل المسلم من النظرة الجزئيَّة له ، من خلال دراسة ركائز الإسلام وخصائصه .
- تعميق انتماء الشاب المسلم لدينه وأمته ووطنه الإسلامي .
- تحصينه اعتقاداً وفكراً وسلوكاً من التيارات الغازية بدراستها وكشف زيفها .
- ربطه بحاضر أمته بما فيه من سلبيَّاتٍ وإيجابيَّاتٍ ليكون عضواً نافعاً مرتقياً بها نحو الأعلى .

وامتداداً لرسالة المملكة التعليميَّة الإسلاميَّة ، فقد سعتْ من خلال بعض جامعاتها إلى تعميم هذه المادة العظيمة في جامعات بلاد المسلمين فأثمر سعيها ؛ حيث أقرَّتْ هذه المادة بصفتها « مادّةً أساسيَّةً على مستوى الجامعات العربيَّة ، والجامعات الإسلاميَّة »[1] .

كذلك فإنه تطبيقاً للسياسة التعليميّة تشكِّل مؤسسات التعليم لجاناً لفحص المقرّرات ، وبالذات التي لها استمدادٌ من غير المسلمين لتفادي ما قد يتسرَّب من خلال الترجمة أو المراجع المعتمد عليها من لوثاتٍ عقديَّةٍ أو فكريَّةٍ

---

(١) انظر قرار مجلس اتحاد الجامعات العربيَّة ، وتوصية رابطة الجامعات الإسلاميَّة في كتاب الثقافة الإسلاميَّة -تخصّصاً ومادةً وقسماً ، ص ٥٥ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

لا تتَّسق مع منهج الإسلام .

ولأنّ التعليم المدرسي لا يستطيع تحقيق هدفه التربوي بنجاحٍ إلا بتعاون الأجهزة الأخرى معه، فقد حمَّلتْ السياسة هذه الأجهزة كرعاية الشباب والمكتبات، والصحف وسائر وسائل الإعلام مهمَّة بذل جهدها الخاص لما يحقق أغراض التعليم . . وينمِّي روح الإيجابيَّة بين المجتمع والمدرسة للوصول نحو تحقيق تلك الأهداف على خير الوجوه[1] .

إنَّ الأهداف التي احتوتْ عليها سياسة التعليم -إذا نظر إليها نظرةً شموليَّةً- هي أهدافٌ شاملةٌ ومتنوِّعةٌ في المنظور التربوي، حيث حَوَتْ أهدافاً إسلاميَّةً روحيَّةً، شغلتْ حيِّزاً مناسباً فيها، كما أنها شملتْ أهدافاً معرفيَّةً، وأهدافاً تتصل باكتساب المهارات المختلفة، وأهدافاً تتصل بالميول والاتجاهات والقيم، وأهدافاً نفسيَّةً وحركيَّةً وعلميَّةً[2] .

وقد انعكس هذا الشمول والتداخل بين ما هو إيمانيٌّ عقديٌّ وخلقيٌّ سلوكيٌّ وفكريٌّ تقنيٌّ على المناهج الدراسيَّة ، حيث تحقق الانسجام فيها بين هذه الجوانب ، وأثمر ذلك في الطالب نفسه بتكوين شخصيَّة يتحقق فيها هذا الانسجام والتراكم الباني لقدرته الفكريَّة في أيّ مجال اتّجه لًلتخصّص فيه ، وفي عدم الشعور بأيّ تنافرٍ بين إيمانه بالغيبيات -باللّه والدار الآخرة. . .- وممارسة تجاربه المعمليَّة في مختبر مدرسته ، ولا الشعور بأيِّ انفصامٍ في شخصيَّته بين حفظه لآياتٍ من القرآن الكريم وإعمال فهمه وتفكيره في اجتهادٍ

(١) انظر : سياسة التعليم ، الوسائل العامة للتربية والتعليم ، ص ٤٠ .

(٢) التنمية والتقنية في المملكة العربية السعودية ، ص٦ ، بحث مقدم لندوة التنمية التقنية في المملكة في الرياض ٩-١١/ ٤/ ١٤١٤هـ، اشترك في تقديمه الدكتور صالح الصنيع ، والدكتور عبد الرحمن الزنيدي .

فقهيٍّ ، أو إبداعٍ أدبيٍّ، أو تحليلٍ لرموزٍ رياضيَّةٍ .

إنّ التكوين الشرعي للطالب عاملٌ مهمٌّ في تقوية الأساس الفطري لعقله وتصفيته من المشوِّشات الجانبيَّة ، ولهذا فإنّ المفترض أنّ الطالب كلما زاد وعيه الديني تعالتْ قدراته الذهنيَّة وإيجابيّته، وقد أثبتت دراساتٌ أجريتْ على الطُّلاب أنَّ للموادّ الشَّرعيَّة أثراً إيجابيّاً بارزاً في تنمية لغة الطالب، وإثراء ثقافته وتوسيع مداركه، وأنَّ الثقافة الشَّرعيَّة عاملٌ من عوامل تفوُّق الطَّالب وحيازته تقدُّماً في الترتيب في نتائج الامتحانات(١) .

وخلاصة القول أنَّ إسلاميَّة التعليم التي تبنَّتها المملكة في سياستها التعليميَّة تأسيساً على العلوم الشَّرعيَّة، وتأصيلاً إسلاميّاً للتخصصات التَّقنيَّة والاجتماعيَّة هي المنهج الأمثل بل الوحيد لبناء شخصيَّة إسلاميَّة حضاريّة ، تؤمن بربِّها، وتدين بالولاء لدينها ومن ثم لأمَّتها ووطنها، وتعي واقع العصر الذي تعيش فيه، وتُسَخِّر فكرها في التخصص الميَسَّر لها لخدمة الأمة والوطن،

---

(١) ينظر مثلا :

- أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل اللُّغوي في مجال القواعد النحوية لدى تلاميذ الصف الثالث المتوسط -رسالة ماجستير جامعة أم القرى، إعداد يوسف عبد الله العريفي .
- العلاقة بين مدى حفظ القرآن الكريم وتلاوته ، ومستوى الأداء لمهارات القراءة، دراسة استطلاعية للصف السادس الابتدائي، محمد موسى عقيلان، بحثٌ مقدمٌ للقاء السنوي الثَّالث للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنَّفسيَّة، الرياض .

ولهذا فإن من الخير لنا إذا أردنا معالجة مناهجنا أن نفرق بين :

- تعاليم دينية تحمل الحق المطلق الذي يزوِّد الطالب بحقائق علميَّةٍ يرتكز عليها فكره فتحقق نضجه، وهي تعاليم القرآن والسنة الثابتة .
- وتعاليم دينية تحمل تصوراتٍ غيبيَّةً زائفةً تصدُّ الناس عن الحقائق العلميَّة ، وتنزل به إلى درك الخرافة .

فلا تكون نظرتنا هائمةً على وجهها لا تفرق بين المختلفات .

منسجمةً مع الحركة المحيطة بها في سعيها لتحصيل المصالح ودرء المفاسد ، بعيداً عن مواقف الرَّفض للواقع واعتزاله، أو مواقف الأنانيَّة والنِّفاق التي تفرزها نظم التَّعليم، التي تتطاوح بين مثاليَّات تجعل الطالب ينظر للمجتمع من عَل، ونفعية ماديَّة مفصولة عن القيم وهدي الدِّين، تجعل خريجها ميكافيليا مع أمته ومجتمعه ، لا دين له سوى شهواته المادية .

وكلا النَّمطين وبالٌ على الأمَّة في حاضرها، وعائقٌ لها عن النهوض في مستقبلها .

obeikan.com